

بين الإسراء والمعراج

حوار افتراضي مع الشيخ عطية صقر من الأزهر الشريف

(*)  التحرير

الإسراء

حادثة تاريخية غريبة وأغرب منها حادثة المعراج، وهما مناسبة تحتفل بها الأمة الإسلامية جمعاء، وتذكر فيها آيات الله ومعجزاته، وتكرمه لنبيه المصطفى عليه الصلاة والسلام بعد أن لاقى ما لاقى من بطش قريش لمنعه من إبلاغ رسالة الإسلام، والدعوة إلى الوحدة. وإن "رسالة المسجد" لتستغل الذكرى لتنشر هذا الحوار الافتراضي مع واحد من علماء الأمة الإسلامية، وهو الشيخ عطية صقر، رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر الشريف؛ والحوار عبارة عن استقراء لإجابات الشيخ على مدى سنوات عن استفسارات رواد موقع "islamonline" حول هذه الحادثة المعجزة.

رسالة المسجد: ما هي حادثة الإسراء والمعراج، وهل الإيمان بها واجب؟

الشيخ/ عطية صقر: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله،

الإسراء مأخوذ من السُرَى وهو المشي ليلاً، وإسراء الله تعالى بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم معناه نقله ليلاً من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالشام، وهو ثابت بالقرآن الكريم في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) [الإسراء/1]؛ كما وردت به الأحاديث الصحيحة، وهي كثيرة مشهورة.

والمعراج مأخوذ من العروج وهو الصعود إلى أعلى، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم عُرج به من الأرض إلى السماء، وذلك بالأحاديث الصحيحة، أو بقوله تعالى: (وَلَقَدْ رَآهُ (أَيَّ جِبْرِيلَ) نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) [النجم/ 13-18].

ومن أجل أن الإسراء ثبت بالقرآن قال العلماء: إن منكره كافر؛ ولأن المعراج ثبت بالحديث الذي لم يبلغ مبلغ التواتر، ولعدم الدلالة القطعية عليه في آيات سورة النجم قالوا: إن منكره غير كافر بل هو فاسق.

رسالة المسجد: وهل كان الإسراء والمعراج بالروح فقط، أم بالروح والجسد معاً؟

الشيخ/ عطية صقر: الصَّحِيح أنه كان بالروح والجسد معاً، كما ذهب إليه جمهور

العلماء من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وذلك لما يأتي:

1/ أن الله تعالى قال: (أَسْرَى بَعْدَهُ)، وَلَفْظُ الْعَبْدِ لَا يُطْلَقُ فِي اللُّغَةِ عَلَى الرُّوحِ فَقَطْ، بَلْ عَلَى الْإِنْسَانِ كُلِّهِ: رُوحُهُ وَجَسَدُهُ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى) [العلق: 9، 10]، وَقَوْلُهُ: (وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ) [الجن: 19].

2/ أن الإسراء بالروح فقط ليس أمراً خارقاً للعادة بل هو أمر عادي يَحْصُلُ لِلنَّاسِ فِي فِتْرَةِ النَّوْمِ حَيْثُ تَكُونُ لِلرُّوحِ جَوْلَاتٌ بَعِيدَةٌ فِي الْكُرَةِ الْأَرْضِيَّةِ تَقْضِيهَا بِوَسَائِلٍ غَيْرِ عَادِيَّةٍ فِي مَدَّةٍ لَا تُحَسَّبُ بِالزَّمَنِ الْعَادِيِّ لِحَرَكَةِ الْجَسَمِ، وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَا دَاعِيَ لِأَنْ يَجْعَلَهُ اللَّهُ تَكْرِيمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُصَدِّرَ الْخَبَرَ بِقَوْلِهِ (سُبْحَانَ) وَمَا فِيهِ مِنْ مَعْنَى الْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ الَّذِي يُقَرَّنُ دَائِمًا بِكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمٍ.

3/ أن الله تعالى قال: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) [الإسراء: 20] أي امتحاناً واختباراً لهم كَيْفَ يُصَدِّقُونَهَا، وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا إِذَا تَمَّتِ الرَّحْلَةُ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ مَعًا، فَلَيْسَ فِي إِسْرَاءِ الرُّوحِ فَقَطْ فِتْنَةٌ وَلَا غَرَابَةٌ، وَلِذَلِكَ حِينَ سَمِعَ الْمُشْرِكُونَ خَبَرَهَا كَذَبُوا أَنْ تَتَمَّ فِي لَيْلَةٍ مَعَ أَنَّهُمْ يَقْطَعُونَ هَذِهِ الْمَسَافَةَ عَلَى ظَهْرِ الْإِبْلِ فِي عِدَّةِ أَيَّامٍ.

4/ أن الإسراء بالروح والجسد معاً هو فعل الله سبحانه وليس فعل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والعقل لا يحيل ذلك على قدرة الله، فهو على كل شيء قدير، وليس هناك ما يمنع قَبُولِ الْخَبَرِ الْمُوثِقِ بِهِ فِي حَصُولِهِ بِالرُّوحِ وَالْجَسَدِ مَعًا.

هَذَا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ بِالرُّوحِ فَقَطْ اسْتَدَّ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) [الإسراء: 20] حَيْثُ قَالَ: إِنَّ الرُّؤْيَا مُصْدَرُ رَأْيِ الْحُلُمِ لَا الْبَصَرِ، فَإِنَّ مُصْدَرَ "رَأَى" الْبَصَرِيَّةُ هُوَ رُؤْيَا. لَكِنْ أُجِيبَ عَلَى ذَلِكَ بِأَنَّ الرُّؤْيَا وَالرُّؤْيَا مُصْدَرَانِ لِرَأْيِ الْبَصَرِيَّةِ مِثْلُ: قُرْبَى وَقُرْبَةٍ، قَالَ الْمُتَنَبِّيُّ وَهُوَ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ:

ورؤياك أخلى في الجفون من الغمض

وإن كان ابن مالك وغيره خطأوه في ذلك. لكن ليس كلامهم حجة حتى لو كان كلام المتني غير حجة. وقال ابن عباس في تفسير الآية: إنها رؤية عين، كما رواه البخاري.

كما استدلل القائل بأن الإسراء كان بالروح فقط بقول عائشة رضي الله عنها: ((ما فقد جسده الشريف))، لكن رد هذا بما يأتي:

1/ أن هذا الحديث ليس ثابتاً عنها؛ لأن سنده فيه انقطاع وراو مجهول، وقال ابن دحية: إنه موضوع.

2/ أنها لم تحدث به عن مشاهدة بل عن سماع؛ لأنها لم تكن قد تزوجته إذ ذاك بل لم تكن ولدت على الخلاف في زمن الإسراء متى كان.

3/ أنها كانت تقول: ((إن النبي صلى الله عليه وسلم لم ير ربه رؤية عين))، وذلك لاعتقادها أن الإسراء والمعراج كان بالروح والجسد معاً، ولو كان ذلك مناماً أي بالروح فقط لم تُنكره وما دام الحديث المنسوب إلى عائشة غير صحيح فلا داعي للتحايل في تفسيره بقول بعضهم: إن معنى: ما فقد جسده الشريف، ما تركت الروح جسده الشريف.

والمهم أن الإسراء قد تم. وقد أخبر الله عنه في القرآن الكريم. وهذا هو القدر الواجب اعتقاده، أما أن يكون على كيفية كذا أو كذا فذلك ما لا يتحتم اعتقاده، ولكل أن يختار ما يشاء، مع اعتقاد أن الله على كل شيء قدير، أن رؤيا الأنبياء حق باتفاق العلماء. ولا داعي للخلاف في هذه النقطة.

رسالة المسجد: لماذا عرج الله تعالى بنيه من بيت المقدس وليس من مكة المكرمة؟

الشيخ/ عطية صقر: لقد حدث الإسراء من مكة وانتهى إلى المسجد الأقصى بالشام، كما نصّ على ذلك القرآن الكريم، وهو معجزة من أنكرها كفر لتكذيبه خبر القرآن وهو قاطع في ثبوته ودلالته، والمعراج معجزة أثبتتها السنة وفي منكرها خلاف بالقول بالكفر أو بالفسق. وجاء في بعض الروايات أن المعراج كان من مكة وكان على البراق، وإن كانت رواية المعراج من المسجد الأقصى هي الأقوى، وكون المعراج على البراق غريب؛ لأنه إلى السموات وليس إلى موضع آخر في الأرض حيث يكون تناسب بينها وبين الدابة التي هي البراق، ولعل التعبير "بالمعراج" من مكة خطأ بدل "الإسراء".

من الطبيعي أن يحدث الإسراء من مكة كما أخبر القرآن لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان فيها منذ ولد ونشأ وبدأ الدعوة، وحدثت له الظروف التي كانت مقدمة للإسراء، وكان هو والمعراج بعيدين عن مكة لحكم جليلة منها:

1/ إثارة التعجب عند المشركين، كيف تم الانتقال والمسافة بعيدة، وإمكان تصديقه طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم وصف بيت المقدس.

2/ أن المسجد الأقصى كان فيه اجتماع الأنبياء الذين احتفلوا به وكرموا الرسول بإمامته لهم في الصلاة، وكأن الله يقول له: إن لم يؤمن بك المشركون فقد آمن بك وكرمك من هم أفضل منهم، وهم أفضل البشر، أنبياء الله المصطفون الأخيار، وفي ذلك تسلية وعزاء للرسول صلى الله عليه وسلم وتنشيط له ليستمر في دعوته.

3/ وفي حفاوة الأنبياء به إشارة إلى وحدة الأديان، وكما جاء في الحديث الصحيح ((الأنبياء إخوة من علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد)).

4/ وفي ذلك إشارة إلى أن دين الإسلام سينتشر على الرغم من محاولات أهل مكة للقضاء عليه، وستغطي دعوته العالم كله؛ لأن فيه خلاصة الدعوات السابقة، مع المبادئ الصالحة لمسيرة البشرية في تطورها المستمر.

لقد كان المعراج من المسجد الأقصى ليكون بعد الاحتفال الأرضي العام بالرسول احتفال خاص في السماء لم يحظ به نبي من الأنبياء، وكانت صفوة منهم في طريق عروجه يستقبلونه ويكرمونه في السماء كما كرموه في الأرض، وكان كل منهم يمثل مرحلة من حياته صلى الله عليه وسلم أحسن فيها بنصر الله لهم على الرغم مما حدث لهم من أقوامهم. هذا بعض ما أحسن به من كون المعراج كان من المسجد الأقصى ولم يكن من مكة كالإسراء، ولكل أن يقرأ ما بين السطور، ويستشف ما يفتح الله به عليه، والأسرار في التشريعات كثيرة لا يحيط بها إلا من وضعها سبحانه وتعالى.

رسالة المسجد: متى وقعت حادثة الإسراء والمعراج؟

الشيخ/ عطية صقر: لقد اختلف في وقت الإسراء اختلافاً كبيراً، فقليل إنه كان قبل البعثة، كما فهم من رواية شريك عن أنس.

ولم يرتض هذا القول الأكثرون، وحملوه على أنه كان إسراء بالروح فقط، كما كانت الرؤيا الصالحة سابقة للوحي في أول عهد النبوة.

وصحّت أحاديث برؤى مناميّة فيها مشاهد كالتّي تُروى في قصة الإسراء، وقيل كان بعد البعثة ولكن في أي عام؟ الأقوال كثيرة.

يقول بعض الكتّابين: إن ابن مسعود حفظ سورة الإسراء التي فيها: (وَلَا تُجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا) وكان قد هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى سنة خمس من النبوة، وعليه يكون الإسراء قد حصل قبل هذا التاريخ.

وبنّوا هذا على أن ابن مسعود لم يتصل بالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد هجرته إلى الحبشة إلا بعد الهجرة إلى المدينة حيث شهد غزوة بدر معه.

لكن ما الذي يقطع بعدم اتصاله بعد هجرته إلى الحبشة؟

لقد جاء في سيرة ابن هشام أن المهاجرين الأوّلين إلى الحبشة عادوا لما جاءهم أخبار همدوء الحالة في مكّة، ولكن لما عرّفوا أن الخير غير صحيح رجّعوا إلى الحبشة مرة ثانية، ومكث بعضهم في مكّة ولم يعد واستمر مع النبيّ حتى هاجر معه إلى المدينة. وابن مسعود كان ممّن بقي بمكّة، فلعلّه حفظ سورة الإسراء بعد عودته من الحبشة.

وابن هشام قال إنه بقي ولم يعد إلى الحبشة، وإن كانت بعض كتب السيرة والرجال تقول: إن هناك قولاً بأنّه هاجر هجرتين إلى الحبشة.

والاحتجاج بحفظ ابن مسعود لسورة الإسراء وفيها الآية المذكورة قد يُفيد إذا تعيّن أن الصلاة هي الصلاة المعروفة، ولكن تقدّم أنه أريد بها الدعاء أو القراءة.

وقيل إن الزهري قال: إن الإسراء وقع بعد البعثة بخمس سنين، فالصلاة فرضت في هذا الوقت، لكن الثقل عن الزهري مختلف، ففي نسخ أخرى غير ذلك.

وجاء في فتح الباري لابن حجر عن الزهري، أن الإسراء قبل الهجرة بخمس سنين فيكون بعد البعثة بثمان، وصحّح بعضهم ذلك بأن السنوات الثلاث التي كانت الدعوة فيها سرّاً لم تُحسب. وعلى هذا يكون الإسراء بعد البعثة بإحدى عشرة سنة.

بعد هذا أقول: إن تحديد عام الإسراء أو شهره أو ليلته ليس فيه كبير فائدة في حياتنا الدنيوية، فالإسراء قد حدث قطعاً والصلوات الخمس قد فرضت قطعاً، والخلاف فيما وراء ذلك لا طائل تحته.

وعلى العموم فالذي عليه الجمهور أنه كان قبيل الهجرة بعام أو نحوه ولم يكن في مبدأ البعثة، وفي هذا الإسراء وحده فرضت الصلوات المعروفة. واختيار المسلمين ليلة

السابع والعشرين من رجب لذكرى الإسراء لا داعي للعدول عنه إلى موعد آخر،
فالسؤال وارد أيضا على الاختيار الجديد.

ونحن على كل حال لم نكلّف بمناسبة الإسراء بعبادة خاصّة، وهي ليلة كانت مزيّداً
لتشريف النبي صلى الله عليه وسلم وصدق دعوته.

رسالة المسجد: ولكن لماذا وقعت حادثة الإسراء والمعراج ليلاً وليس نهاراً؟

الشيخ/ عطية صقر: أ أجاب القسطلاني في "المواهب اللدنية" مع شرح الزرقاني عن
هذا السؤال بقوله: إنما جعل الإسراء ليلاً تمكينا للتخصيص بمقام المحبة؛ لأنه تعالى اتخذ
عليه السلام حبیباً وخليلاً، والليل أخص زمان للمحبين لجمعهما فيه، والخلو بالحبيب
مُتَحَقِّقَةٌ بالليل. وقال ابن المنير: لعلّ تخصّيص الإسراء بالليل ليزداد الذين آمنوا إيماناً
بالغيب، وليفتتن الذين كفروا زيادة على فتنتهم، إذ الليل أخفى حالاً من النهار، فما وقع
منه لا يطلع عليه غالباً، فكان من الغيب، فإذا أخبر الرسول عمّا وقع له ليلاً صدّقه
المؤمنون فزادوا إيماناً، ولعله لو عُرِجَ به نهاراً لفات المؤمنين فضيلة الإيمان بالغيب.

وهناك حكمة على طريق أهل الإشارات، وهم المحققون من الصوفية، أن الله تعالى
لما مَحَا آية الليل وجعل آية النهار مبصرة انكسر الليل فجبر بأن أسرى فيه محمد صلى الله
عليه وسلم؛ وقيل: افتخر النهار على الليل بالشمس فقيل له: لا تفخر فإن كان شمس
الدنيا تشرق فيك، فسيخرج شمس الوجود في الليل في السماء. هذا بعض ما قيل: ولكل
دوّقه وإحساسه.

رسالة المسجد: هل وقوع الإسراء والمعراج في شهر رجب، يعطيه قدسية خاصة؟

الشيخ/ عطية صقر: وضع الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني رسالة
بعنوان: "تبيين العجب بما ورد في فضل رجب"، جمع فيها جمهرة الأحاديث الواردة في
فضائل شهر رجب وصيامه والصلاة فيه، وقسمها إلى ضعيفة وموضوعة.

وذكر له ثمانية عشر اسماً، من أشهرها "الأصم" لعدم سماع قعقة السلاح فيه؛ لأنه
من الأشهر الحرم التي حرّم فيها القتال، و"الأصب" لانصباب الرحمة فيه، و"منصل الأسته"
كما ذكره البخاري عن أبي رجاء العطاردي قال: كنا نعبّد الحجر، فإذا وجدنا حجراً هو
خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا الشاء
(الشيء) فحلبنا عليه ثم طفنا به، فإذا دخل شهر رجب قلنا: منصل الأسته، فلم ندع رُمحاً
فيه حديدة، ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه.

وفضل رجب داخل في عموم فضل الأشهر الحرم التي قال الله فيها: (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ، فَلَا تَظْلَمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ) [التوبة/ 36]، وَعَيْنُهَا حَدِيثُ الصَّحِيحَيْنِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِأَنَّهَا ثَلَاثَةُ سَرْدٍ (أَيِّ مِتَالِيَةٍ) ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْحَرَمِ، وَوَاحِدَ فَرْدٍ، وَهُوَ رَجَبٌ (مُضَرٌّ) الَّذِي بَيْنَ جَمَادَى الْآخِرَةِ وَشَعْبَانَ، وَلَيْسَ رَجَبٌ (رَبِيعَةً) وَهُوَ رَمَضَانُ.

ومن عدم الظلم فيه عَدَمُ الْقِتَالِ، وَذَلِكَ لِتَأْمِينِ الطَّرِيقِ لِزَائِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ (فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ) [التوبة/ 5]، وَمِنْ عَدَمِ الظُّلْمِ أَيْضًا عَدَمُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَاسْتِنْبَاطُ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ مِنْ ذَلِكَ -دُونَ دَلِيلٍ مُبَاشِرٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ نَصًّا عَلَيْهِ- جَوَازَ تَغْلِيزِ الدِّيَةِ عَلَى الْقَتْلِ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ بِزِيَادَةِ الثُّلُثِ. وَمِنْ مَظَاهِرِ تَفْضِيلِ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ -بِمَا فِيهَا رَجَبٌ- نُدْبُ الصِّيَامِ فِيهَا. كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ مُجِيبَةِ الْبَاهِلِيَّةِ عَنْ أَبِيهَا أَوْ عَمِّهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ -بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ-: ((صُمْ مِنَ الْحَرَمِ وَاتْرُكْ ثَلَاثَ مَوَاتٍ))، وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثَةَ، حَيْثُ ضَمَّهَا وَأَرْسَلَهَا وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْإِشَارَةَ كَانَتْ لَعَدَدِ الْمَوَاتِ لَا لَعَدَدِ الْآيَامِ.

فَالْعَمَلُ الصَّالِحُ فِي شَهْرِ رَجَبٍ كَالْأَشْهُرِ الْحُرَمِ لَهُ ثَوَابُهُ الْعَظِيمُ، وَمِنْهُ الصِّيَامُ، يَسْتَوِي فِي ذَلِكَ أَوَّلُ يَوْمٍ مَعَ آخِرِهِ، وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «إِنَّ شَهْرَ رَجَبٍ لَمْ يَرِدْ حَدِيثٌ خَاصٌّ بِفَضْلِ الصِّيَامِ فِيهِ، لَا صَحِيحٌ وَلَا حَسَنٌ».

وَمِنْ أَشْهُرِ الْأَحَادِيثِ الضَّعِيفَةِ فِي صِيَامِهِ: ((إِنَّ فِي الْجَنَّةِ نَهْرًا يُقَالُ لَهُ رَجَبٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، مَنْ صَامَ يَوْمًا مِنْ رَجَبٍ سَقَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ))، وَحَدِيثٌ: ((مَنْ صَامَ مِنْ رَجَبٍ يَوْمًا كَانَ كَصِيَامِ شَهْرٍ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ غُلِقَتْ عَنْهُ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ السَّبْعَةُ وَمَنْ صَامَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ فَتُحْتُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، وَمَنْ صَامَ مِنْهُ عَشْرَةَ أَيَّامٍ بَدَلَتْ سَيِّئَاتُهُ حَسَنَاتٍ))، وَمِنْهَا حَدِيثٌ طَوِيلٌ جَاءَ فِي فَضْلِ صِيَامِ أَيَّامٍ مِنْهُ، وَفِي أَثْنَاءِ الْحَدِيثِ: ((رَجَبُ شَهْرِ اللَّهِ وَشَعْبَانُ شَهْرِي وَرَمَضَانُ شَهْرُ أُمَّتِي)) وَقِيلَ إِنَّهُ مَوْضُوعٌ، وَجَاءَ فِي الْجَامِعِ الْكَبِيرِ لِلْسَيُوطِيِّ أَنَّهُ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي الْفَتْحِ بْنِ أَبِي الْفَوَارِسِ فِي أَمَالِيهِ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا.

وَمِنْ الْأَحَادِيثِ غَيْرِ الْمَقْبُولَةِ فِي فَضْلِ صَلَاةٍ مَخْصُوصَةٍ فِيهِ: ((مَنْ صَلَّى الْمَغْرِبَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا عَشْرِينَ رَكْعَةً، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ، وَقَالَ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّةً وَيَسْلَمُ فِيهِمْ عَشْرَ تَسْلِيمَاتٍ حَفِظَهُ اللَّهُ فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ،

وأَجِيرَ من عَذَابِ القَبْرِ، وَجَازَ عَلَى الصَّرَاطِ كَالْبَرْقِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ)) وَهُوَ حَدِيثٌ مُوَضَّوعٌ، وَمِثْلُهَا صَلَاةُ الرِّغَائِبِ.

وَقَدْ عَقَدَ ابْنُ حَجَرٍ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ فَصْلًا ذَكَرَ فِيهِ أَحَادِيثَ تَتَضَمَّنُ التَّهْيَةَ عَنِ صَوْمِ رَجَبٍ كُلِّهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا التَّهْيَةُ مُنْصَرِفٌ إِلَى مَنْ يَصُومُهُ مُعَظَّمًا لِأَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، أَمَّا إِنْ صَامَهُ لِقَصْدِ الصَّوْمِ فِي الْجُمْلَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَجْعَلَهُ حَتْمًا أَوْ يُخَصُّ مِنْهُ أَيَّامًا مَعِيْنَةً يَؤَاطِبُ عَلَى صَوْمِهَا، أَوْ لِيَالِي مَعِيْنَةٍ يَؤَاطِبُ عَلَى قِيَامِهَا، بَحِثْ يَظُنُّ أَنَّهَا سُنَّةٌ، فَهَذَا مِنْ فَعْلِهِ مَعَ السَّلَامَةِ تَمَّا اسْتَشْنَى فَلَا بَأْسَ بِهِ. فَإِنْ خَصَّ ذَلِكَ أَوْ جَعَلَهُ حَتْمًا فَهَذَا مُحْظُورٌ، وَهُوَ فِي الْمَنْعِ بِمَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَخْصُوا يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِصِيَامٍ وَلَا لَيْلَتِهَا بِقِيَامٍ)) [رواه مسلم]. وَإِنْ صَامَهُ مُعْتَقِدًا أَنَّ صِيَامَهُ أَوْ صِيَامَ شَيْءٍ مِنْهُ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ غَيْرِهِ فَفِي هَذَا نَظَرٌ.»

وَمَالَ ابْنُ حَجَرٍ إِلَى الْمَنْعِ، وَنَقَلَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الطَّرُوشِيِّ فِي كِتَابِ "الْبَدْعِ وَالْحَوَادِثِ" أَنَّ صَوْمَ رَجَبٍ يُكْرَهُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ: أَحَدُهَا: أَنَّهُ إِذَا خَصَّ الْمُسْلِمُونَ بِالصَّوْمِ فِي كُلِّ عَامٍ حَسَبَ الْعَوَامِّ، إِمَّا أَنَّهُ فَرَضَ كَشَهْرِ رَمَضَانَ، وَإِمَّا سُنَّةً ثَابِتَةً كَالسَّنَنِ الثَّابِتَةِ، وَإِمَّا لِأَنَّ الصَّوْمَ فِيهِ مَخْصُوصٌ بِفَضْلِ ثَوَابٍ عَلَى صِيَامِ بَاقِي الشُّهُورِ، وَلَوْ كَانَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ لَبَيَّنَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ابْنُ دَحِيَّةٍ: «الصَّيَّامُ عَمَلُ بَرٍّ، لَا لِفَضْلِ صَوْمِ شَهْرِ رَجَبٍ فَقَدْ كَانَ عَمْرٌ يَنْهَى عَنْهُ.»

هَذَا، وَحَرَّضَ النَّاسَ وَالنِّسَاءَ بِوَجْهِ خَاصٍّ عَلَى زِيَارَةِ الْقُبُورِ فِي أَوَّلِ جُمُعَةٍ مِنْ شَهْرِ رَجَبٍ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ مِنَ الدِّينِ، وَلَا ثَوَابٌ لَهَا أَكْثَرُ مِنْ ثَوَابِ الزِّيَارَةِ فِي غَيْرِ هَذَا الْيَوْمِ. وَالْأَوَّلَى فِي شَهْرِ رَجَبٍ أَنَّ نَتَذَكَّرَ الْأَحْدَاثَ التَّارِيخِيَّةَ الَّتِي وَقَعَتْ فِيهِ مِثْلُ غَزْوَةِ تَبُوكَ لِنَأْخُذَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ، وَنَتَذَكَّرَ تَخْلِيصَ صِلَاحِ الدِّينِ الْأَيُّوبِيِّ لِلْقُدْسِ مِنْ أَيْدِي الصَّلِيبِيِّينَ (فِي رَجَبِ 583هـ / 1187م) لِيَتَوَحَّدَ الْعَرَبُ وَالْمُسْلِمُونَ لِتَطْهِيرِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى مِنْ رَأْسِ الْغَاصِبِينَ.

كَمَا نَتَذَكَّرُ حَادِثَ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ وَنَسْتَفِيدُ مِنْهُ، عَلَى مَا ارْتَضَاهُ الْمُسْلِمُونَ فِي كَوْنِهِ حَدِثٌ فِي شَهْرِ رَجَبٍ.

رِسَالَةُ الْمَسْجِدِ: ذَكَرْتُ أَنَّ الصَّلَاةَ فَرَضَتْ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ، فَهَلْ كَانَتْ هُنَاكَ صَلَاةٌ أُخْرَى قَبْلَ ذَلِكَ، خَاصَّةً وَأَنْ بَعْضَ النُّصُوصِ فِي السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ تُشِيرُ إِلَى ذَلِكَ؟

الصلوات الخمس المعروفة فُرضت ليلة الإسراء وهذا باتفاق،

ولكن هل هناك صلاة كانت قبل المفروضة ليلة الإسراء؟ الجواب: نعم.

ولكن يجب أن يعلم أن الصلاة في القرآن قد تطّلق على معناها اللغوي وهو الدعاء، ومنه قوله تعالى: (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) [التوبة / 103]، وقوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [الأحزاب / 56]. فالصلاة في هذه الآية لا يمكن أن تكون هي الصلاة المعروفة ذات الركوع والسجود، وإنما هي دعاء أو استغفار أو رحمة.

والعرب في الجاهلية كانت لهم صلاة وهي دعاء يدعون به عند التلبية والحج. كما كانت لهم صلاة من نوع آخر يدلّ عليه قوله تعالى: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً) [الأنفال / 35] والمكاء هو الصّفير، والتّصدية هي التّصفيق. فقليل: إن ذلك كان عبادة يتقربون بها، وقيل: إنه ضربٌ من التشويش على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي.

ويُحتمل أن يكون الدعاء هو المراد من الصلاة في قوله تعالى: (وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا) [الإسراء / 110].

كما يحتمل أن يُراد بها القراءة، وقد جاء هذا التفسير في روايات صحيحة، ومن إطلاق الصلاة على القراءة الحديث القدسي الصحيح: ((قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ...)) فأطلق الصلاة على قراءة الفاتحة.

وكان قيام الليل في أول مشروعيّته بالقراءة، كما في صدر سورة المزمل.

وحملوا الصلاة على الدعاء أو القراءة أيضا ما جاء في حديث أحمد بسند صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بمنى حين مالت الشمس وصَلَّتْ خَلْفَهُ خَدِيجَةٌ وَعَلِيٌّ، ذلك أن الثابت من حديث عائشة أن خَدِيجَةَ توفيت قبل أن تُفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، وكانت وفاتها على الصحيح في السنة العاشرة من النبوة.

ورأى جماعة أنه كانت هناك صلاة قبل الخمس التي فرضت ليلة الإسراء، وهي ركعتان بالعشي وركعتان بالإبكار، على ما يدل عليه قوله سبحانه: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [غافر / 55].

وعليها يحمل ما ورد من أن النبي وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم عقب عودته من الطائف بموضع يقال له "نخلة" صلى الفجر مع بعض أصحابه، وذلك كان قبل ليلة الإسراء.

فقد قيل: إنها من المفروضة أول النهار وآخره، وتسميتها بالفجر لوقوعها في حينه أو قريباً منه، أو كانت صلاة ليل وقعت حول هذا الوقت، وقد يُراد بها الدعاء، فليس ذلك دليلاً على أن الصلوات الخمس فرضت قبل ليلة الإسراء.

ليس هناك دليل قوي على أن هذا التسييح يُراد به الصلاة ذات الركوع والسجود فلم لا يكون تسييحاً باللسان فقط ويدخل ضمن الدعاء الذي يُطلق عليه اسم الصلاة.

رسالة المسجد: كلمة أخيرة عن الإسراء والمعراج؟

الشيخ/ عطية صقر ما رآه الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المناسبة بعضه ورد بطريق صحيح وبعضه الآخر بطريق غير صحيح، ومهما يكن من شيء فإن ذلك إذا كان ممكناً عقلاً فإننا لا نكلّف بالإيمان به، حيث لم يرد نص صريح قاطع يثبت.

ورحلة الإسراء في حد ذاتها رحلة غريبة، ولها فضلها وشرفها، وليست في حاجة إلى إضافة شيء يزيد شرفاً بعد ما ورد من آثار صحيحة، وأكّرر التنبيه على عدم نسبة شيء إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو منه بريء، فقد قال عليه الصلاة والسلام: ((من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) [رواه البخاري ومسلم].